الدكتور حسن الوراكلي للأدب الإسلامي

لم استسغ قالة (موت المؤلف) من أول يوم تلقفها نقادنا وتبنوها..

حوار: د. محمد محمد المعلمي

إذا كان هاجس الإبداع يشكل عند بعض المفكرين والدارسين لحظة استراحة من وعثاء البحث وعناء الدرس والإنصات إلى حديث النفس وبوحها، فإن الأمر ليس كذلك عند الباحث الأديب الأستاذ الدكتور حسن الوراكلي، فقد شغفه الإبداع حبا منذ أن تفتقت موهبة الكتابة لديه في سن مبكرة من حياته، فلما شغل بالبحث العلمي كان حب الإبداع متجذرا في أطوائه فلم ينل منه ذاك إلا بقدر ما ينال الحبيب الطارئ من الحبيب الأول! ومن أراد أن يستيقن من ذلك فلينظر في عناوين إنتاجه الإبداعي: (الريح والجذوة) و (كروفر) و (الغدايا والعشايا) و (... حتى نبرأ من الكساح) و (... كالنيازك البراقة) و (وشي وحلي) و (الكمامة) وغيرها. وفي هذا الحوار نستمتع إلى بإجابات مبدعة من الدكتور حسن الوراكلي.

● لنبدأ بالبداية.. كيف دخلت عوالم الحكي؟

●● كانت التي أمسكت بيدي ودخلت بي إلى عوالم الحكي العجيبة جدتي، كنت أتكور في حجرها، وقبل أن أطلب منها (حكاية) تكون قد شرعت في (كان يا ما كان)... لحظتئذ كنت أستسلم لتخدير الحكي فأحلق في سماواته حين يحلق وأضرب في أراضيه حين يضرب، وتأخذني المشاهد العجيبة، وتأخذني الوقائع الغريبة، ولا أزال كذلك حتى أطبق جفني فأحمل إلى الفراش دون أن أغادر عوالم الحكي!

● ترسخت محبة الحكي في نفس د حسن في حضن دافئ محب، فمن أين كان يسقي شجرة المحبة هذه بعد فترة (كان يا ما كان)؟

●● أول الموارد وأعذبها قصص القرآن الكريم... كنت أقرأ منها فيما أكتب بلوحي من بعض الآي. لم أكن أفهم إلا اليسير منها، وأحيانا لا أفهم شيئا، لكني كنت أجد متاعا لا حد له في فضائها الحفيل بالحركة والصور والحوار... ولم أكن لأقوى على تذوق لغتها البديعة، لكني كنت أجد لها حلاوة وطلاوة لم أجدهما في لغة قصص أخرى قرأتها فيما استقبلت من أيامي!

● وأول الغيث؟

●● رذاذ كان ينزل على قلبي بردا وسلاما، وأتمنى لو يعرفه الناس! لكني كنت لا أجرؤ أن أطلع عليه أحداً!

● هل هي عقدة خوف أو فقدان ثقة؟

●● لا هذه ولا تلك، بل هي إحساس مبكر كان ولا يزال يلاحقني بأسئلة الإتقان!

● ما النص الذي غالبت به هذا الإحساس وعرضته على الناس؟

●● هما نصان، أولهما (العقوق) ونشر بجريدة (النهار)، وثانيهما (العم اعلي) وأذيع في برنامج (قصة الأسبوع) براديو درسة تطوان.

● عرضت النصين وأنت عنهما راض؟

●● بنسبة زكتها كلمات تشجيع غمرني بها الأستاذ أحمد السباعي المحرر بجريدة (النهار)، والأستاذ محمد الخضر الريسوني معد برنامج (قصة الأسبوع)، وأنا لهما مدين فيما كتبت بعد ذلك وإلى اليوم من نصوص، وداع لهما بالرحمة والمغفرة.

● غزير مكثر في البحث العلمي، مقل ومبطئ في الإبداع والحكي منه بخاصة، هل ذاك من أثر الإحساس الذي تحدثت عنه أم من الخوف؟ أو هو من قبيل (أمّ النسر مقلاة نزور)!؟

●● لا، أبدا... لا هذا، ولا ذاك! ولكنها سلطة البحث العلمي التي تحاصر أستاذ الجامعة إذا أصبح وتحاصره إذا أمسى، والطلب واحد عندها لجميع العاملين تحت سقفها، البحث دون توقف، والعطاء دون توقف!

● ومتى انتفى عن نفسك أو قلمك الخوف من القارئ؟

●● لقد قلت لك: إنه ليس خوفا، بل سؤال إتقان يقض ويقلق، وقد أفضى بي غير مرة إلى وأد ما كتبت!

● ومع اتصال التجربة كان لا بد أن تطل على قرائك بنص أنت راض عنه الرضا كله، فما هذا النص؟

●● لم يطل بعد!

● وآخر ما (كر وفر) من حكيه؟ كيف تنظر إليه؟

●● (كر وفر) عنوان، مع وجازته، مستوعب للحياة، جلواتها وخلواتها، حين تقبل وحين تدبر، وحين تبسم وحين تعبس، وليس ثمة من نص في (كر وفر) إلا وهو يرصد لقطة أو أخرى من حياة الناس وهم يصارعون أمواج الكر والفر!

● هل ترى لنصوص (كر وفر) ميزة عما سواها مما نشرت وخاصة نصوص (الريح والجذوة)؟

●● إذا كان لا بد من التماس ميزة لمجموعة (كر وفر) فلن يكون في معرض موازنتها بـ (الريح والجذوة) إلا من حيث اختلاف القالب، فهو مختلف، لقد كتبت نصوص (الريح والجذوة) وغيرها مما نشر في الصحف والمجلات ولم يجمع في كتاب وفق تقنية القصة القصيرة المتعارف عليها، في حين صغت نصوص (كر وفر) وفق تقنية فنية مخالفة، تقوم على أسلوب التكثيف والإيجاز والإلماح عبر مفردات لغة شفافة، وتراكيب وصور مجازية ورموز مما يتحقق به ضغط النص في أسطر معدودة فخلع عليه اسم (قصة قصيرة جدا) وهي تسمية لم أستسغها، وأحب إلي منها (الأقصوصة)؛ بل إني رأيت أدل من هذه التسمية وتلك على هذا الضرب من السرد المكثف (المضغوط) تسمية (الخبر المقصوص)، وتعليل ذلك عندي ما سطرته في إضاءة بين يدي (كر وفر) أقرأ عليك ما قلت فيها:

«إن أصل القصة خبر، ومن أتاك بالخبر من قصه، وصدقك وأمتعك فقد قص عليك، لكن من المؤكد أن ما يأتيك به محدثك ليس خبرا كالأخبار، ولا هو قصة كالقصص! إنه – كما قلت بين يدي نصوص الكر والفر – مزيج من هذه وتلك. له من محاسن الخبر صدق المقال ونقاؤه، وله من مفاتن القص جمال الوشاح وبهاؤه. وبهذا وذاك ساغ عندي أن يعرف باسم لم يجعل الناس له من قبل سميا. إنه (خبر مقصوص) يحمل علما وفنا في خطاب يغني (اختصار القول فيه عن تطويله).

أما ما عدا القالب فإن التوجهات الموضوعية لم

تبرح عندي موقعها الأول الذي ترصد في أفقه الهم الفردي والهم الاجتماعي إلا أنها رحبت أفقها في (الريح والجذوة) و (كر وفر) ليتم التمازج بين الهم الفردي والهم الاجتماعي بما يبلور رؤية كاتبها تجاه قضايا تمس المجتمع والأمة والإنسانية. وهذه ميزة المجموعتين، وهي تعكس – فيما أحسب – تطور التجربة فيهما على مختلف المستويات بالقياس إلى النصوص التي نشرت قبلهما. كل ذلك بالامتياح من مرجعية تكرس خطابا سويا يرام به دحض الباطل بشتى صوره ورفع الإصر بمختلف أشكاله، والتبشير بمجتمع التواد، والحق، والخير. وربما تكون الميزة أوضح في (ياجوج وماجوج) من حيث الاتجاه بالتجربة الفنية إلى لغة تعتمد الإيجاز والإلماح وإرهاف التصوير ما وسع صاحبها ذلك!

● **على ذكر (الريح والجذوة) بم تعلل هذا الاهتمام المتزايد بها من لدن نقاد وباحثين من المغرب والمشرق ومن مشارب مختلفة؟**

●● باختصار أقول: إن اهتمام نقاد – كما قلت – من مشارب تصورية وفكرية ومتعددة بـ (الريح والجذوة) لا أجد له من تعليل غير باعثين اثنين: أولهما كون هذه المجموعة باكورة ما أسميته مرحلة (سن الرشد) في كتاباتي السردية وهي المتمثلة – إلى اليوم – في مجاميع ثلاثة، هي (الريح والجذوة) و (كر وفر) و (ياجوج وماجوج) ومجموع نصوصها نيف على الأربعين، وهذه هي التي أحب أن ينظر إليها في الحكم على سردي، وما نشر من قبل، وهو غير قليل، يمثل بواكيري التي لا أحب أن تمثل فني كما رأيت في بعض الرسائل الجامعية!

● **هل يعني أنك تتبرأ من نصوصك التي كتبتها ونشرتها قبل بلوغك (سن الرشد) بتعبيرك؟**

– لا، لا.. إنها بضعة مني، وهي عندي محفوظة، أرجع من حين لآخر لقراءتها بحثا عن ملامح لي وقسمات حال لونها وبهت ضوؤها! وما أدري، فلعلني أغالب نفسي الأمارة بوأدها فأنشرها اعترافا ببنوتها، وإقراراً بأبوتي لها!

● **والباعث الثاني؟ ماذا عنه؟**

●● مرجعية الخطاب، فهي ذاتها التبشير بقيم تبني ولا تهدم، وتخصب ولا تجدب، وتحرر ولا تستبعد اجتثاثا لدعاوى الإكباب الفكري والضلال الأخلاقي، وترسيخا لرؤى الاستواء في التفكير والاستشراف في السلوك. ومثل هذا الخطاب في مقاصده التي تنشد الحق والمحبة والجمال بين الناس لا يرفضها إلا من سفه نفسه أو سفه مذهبه الفكري والعقدي.

وقد بسطت القول في ذلك في مقدمة (الريح والجذوة) وهي المقدمة التي انتقدها غير واحد، ومنهم الدكتورة غادة الحوطي، ورأت فيها موت المؤلف، وقد ماتت الدكتورة غادة –رحمها الله– وما زال مؤلف (الريح والجذوة) حيا يرزق بفضل الله. ولا تحسبن أني أمزح : بل هو جد وجد، فإني لم أستسغ قالة (موت المؤلف) من أول يوم تلقفها نقادنا وتبنوها بدون فحص ولا إعمال نظر. قد يقول قائل: هذا قصور في الفهم. فليكن طالما أن قصور النظر عنده يضيق عليه أفق الفهم فيتوهم، لكلالته، أنه لا فهم إلا فهمه!

● **يلاحظ اهتمام بالغ عندك باللغة وبالأسلوب ليس فقط في نصوصك السردية، ولكن في كافة ما تكتبه من ألوان إبداعية : بل إن هذا الاهتمام تسلل بقلمك**

إلى متن البحث الأدبي، والفقهي، والتاريخي، وغيره. ومن آخر ما صدر لك كتاب (وشي وحلي) وهو كتاب تراجم، يعني أنه ينتسب بنسبة أو بأخرى، إلى شجرة التاريخ، لكن نصوصه أو جلها نصوص أدبية، يلفت النظر فيها تفنن في الأسلوب والتصوير ينزع بها إلى جماليات اللغة المجازية الإبداعية. وسؤالي: عن السر في كتابة (الترجمة) في هذه الحلة السيراء التي أودعتها كتابك (وشي وحلي).

●● الترجمة علم وفن. فإذا صاغها مؤلفها في أسلوب تقريري يسجل به معلومات عن حياة المترجم به مما يلقي الضوء على نشاطه وعطائه في المجال الذي برز فيه فقد جنح بها إلى العلم. وهذا هو الغالب على الترجمة كما حفظتها لنا كتب الطبقات ومعاجم الرجال. وهي كثيرة ومتعددة.

أما إذا صاغ كاتب الترجمة نصها بأسلوب فني يعتمد لغة المجاز، ويستخدم آلية التصوير في عرض مشاعر الحب والوفاء والتقدير التي يكنها للمترجم به دون أن يخلي نصه من التلميح إلى ما أجج هذه المشاعر من سيرة المترجم به المتوهجة بعطائه العلمي أو الأدبي أو غيره فقد جنح إلى الفن.

وقد مارست الأسلوبين فترجمت لبعض أعلام الأندلس أمثال الكاتب اللغوي أبي الطاهر السرقسطي الأشتركويي صاحب المقامات اللزومية، والشاعر الأديب ابن صارة الشنتريني، والمحدث الحافظ ابن مسدي الغرناطي، والفقيه ابن باق، غيرهم.

وترجمت بالثاني لطائفه من أعلام العلم والثقافة والفكر والأدب من مغاربة ومشارقة في كتابي (وشي وحلي). وهذا العنوان الرئيس، والعنوان المفسر هو (كلمات وفاء وحب في رجالات عرفتهم).

ولست أزعم الريادة في فن الترجمة بهذا الأسلوب، فقد سبق إلى ذلك غير واحد من القدامى أذكر منهم على سبيل التمثيل من القدامى ابن خاقان،، وابن الإمام، وابن الخطيب وغيرهم، ومن المعاصرين أخي المرحوم المبرور الأستاذ محمد المنتصر الريسوني في سلسلة (رجال من بلادي) التي كان ينشرها تباعا في مجلة (دعوة الحق)، والكاتب الأديب محمد الصباغ في بعض ما كتبه عن شخصيات منبته تطوان مثل الفقيه محمد داود، والفقيه الحسن بن عبد الوهاب وغيرهما.

أما السر في إخراج هذه التراجم في حلة سيراء – كما وصفتها بعبارة ابن الأبار – فيمكن في أن المقصد عندي من كتابتها – مع تعدد المناسبات – لم يكن التعريف بشخصية المترجم به، وإيراد نبذ من سيرته، وهو ما يستدعي حشد المعلومات والأخبار عنه في لغة تقريرية مباشرة، ولكن كان المقصد عندي ما أودعته نص العنوان الفرعي أو المفسر، وهو (كلمات وفاء وحب في رجالات عرفتهم)، والتفصيل في المقدمة، لكن لا بأس بالقول بأن الحب مستقره أجواء القلب، والوفاء مكمنه أطواء النفس، وليس من آلية أقدر على اختراق الأجواء الفياضة بألق المحبة، ولا الأطواء الفوارة ببهاء الوفاء من آلية اللغة الجمالية المجازية المترعة بالشفافية، المفعمة بالرهافة بحيث يتوهج مقام الرصد في حضرة الإبداع!

● من منطلق اهتمامك بواقع الأمة الإسلامية فيما يحدق بها من تحديات تستهدف هويتها العقدية والثقافية والحضارية أبدعتم في جنس أدبي آخر ما عدنا اليوم نظفر منه بما يمتع، أقصد جنس (الخاطرة) التي صدرت لك فيها مجموعتان بعنوانين يحسبهما المرء عنواني ديوانين، أولهما هو (... حتى نبرأ من الكساح!) وثانيهما هو (كالنيازك البراقة!) هلا نقلتم القراء إلى أجواء خاطركم وأمتعتموهم بقسط من صيده؟

●● علاقتي بأدب (الخاطرة) علاقة حميمية، متجذرة في وجداني وعقلي، متوغلة في تجربة الكتابة عندي. لقد شغفت بـ (الخاطرة) حبا وأنا بعد يافعا أتلمس طريقي في دروب الكتابة وأخطو خطواتي الأولى في

مسالك الإبداع. لا أدري إلى الآن يقينا الباعث لي على هذا الشغف بالخاطرة.

من الأكيد أن الأمر ليس مرده إلى سهولة ويسر تحرير نص صغير محدود المفردات معدود التركيب، ليس هذا قطعا، فإن الخاطرة بسبب قصرها، عدت أعسر نص في الكتابة، لست أجد تعليلا لتعلقي بالخاطرة في تلك السن المبكرة وإلى يومي هذا إلا أن يكون نابعا من إعجابي بأقلام كانت أقرأ لأصحابها فتبهرني قدرتها على عرض الأفكار الغنية في أخصر نص، أذكر منهم مصطفى أمين، والصاوي، وخالد محمد خالد.

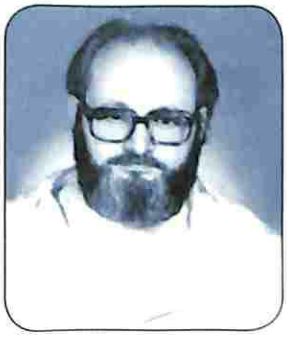

كذلك – وهذا تعليل نفسي – كنت أحس بالانشراح النفسي للموجز من الكلام الذي يملأ فكرك ونفسك برسالته. هذا طبعا قبل أن أعرف موقع الإيجاز من الإعجاز في النظم القرآني، ومنبع البلاغة في جوامع الكلم عند أفصح من نطق بالضاد عليه أزكى الصلاة وأتم السلام، وقبل أن أقرأ رأي الجاحظ وغيره في الإيجاز.

الريسوني

د. الأمراني

وقد كان من عطاء هذا الشغف الكبير بـ (الخاطرة) ما كتبت منها تحت عناوين عدة: (ما قل ودل) و(الحق أقول لكم) و(النبع الصافي) و(ومضات)، وهذان الأخيران عمرا طويلا، وكنت أسعد بما أسمعه من انطباعات عنهما عند قرائهما من أهل العلم والدعوة والفكر والأدب، أذكر منهم الآن الشيخ محمد المكي الناصري، ومؤرخ تطوان الأستاذ محمد داود، والأستاذ محمد المنتصر الريسوني، والدكتور محمد حسن باجودة، والدكتور عبد السلام الهراس، والدكتور الشاهد البوشيخي، والدكتور حسن الأمراني، وآخر من لقيت منهم – وكان ذلك برحاب المسجد الحرام – الأستاذ أحمد عطية صاحب مكتبة (الهداية) بفاس. فما أن قدمني إليه الدكتور سليمان البيرة حتى بادرني مستفسرا: صاحب (الومضات)؟ فلما هززت رأسي بالإيجاب عانقني وهو يقول: أين الومضات؟

ولكون مضمون خواطري فكريا وحضاريا وثقافيا ودعويا فإن نصوصها لا تطوى بانطواء اليوم الذي نشرت فيه أو قرئت. ولكن – بفضل الله تعالى – يطول أمدها وتتصل رسالتها. ومن هنا جمعت طائفة منها في مجموعتين. أولاهما بعنوان (حتى نبرأ من الكساح!) وثانيتهما بعنوان (كالنيازك البراقة!). وأما البلسم الشافي الذي حملته هذه الخواطر إلى قرائها فهو خطاب الإسلام الثقافي الذي يكرس لدى الطليعة المسلمة الوعي بالهوية العقدية والحضارية واستثمارها في الدعوة والتبليغ.

• لقد عنيت بكتابة الرسالة، هل وجدت فيها فضاء للقول لم تجده في فنون القول الأخرى؟

•• لا يشبه تعلقي بفن الخاطرة إلا تعلقي بفن الرسالة، تلك ضيقها عين الاتساع، وهذه اتساعها عين الضيق! وعلى أية حال فقد وجدت في كلتيهما مجالا لعرض همومي الفردية موصولة بهموم من أخاطب! أولعت بأدب (الرسالة) ولعي بأدب (الخاطرة) أو أشد، فقرأت كثيرا مما كتب فيه القدامى وخاصة كتاب الأندلس، قرأت لعدد لا يحصى كابن أبي الخصال وابن عميرة وغيرهما، وقرأت مما كتب المحدثون في المشرق والمغرب، ما كتب توفيق الحكيم، وما كتب أحمد أمين لولده، وما كتبه محمد الصباغ لصاحبته اللبنانية في (بتدين اللقش) وما كتبه حمزة شحاتة لابنته شيرين، وعبد العزيز التويجري لولده.

ومن القراءة الخاصة ندبت طلابي في قسمي الماجستير والدكتوراه بمكة وجدة إلى القراءة الناقدة لنصوص الرسالة في آثار القدامى والمحدثين مثل رسائل ابن الخصال التي تولت قراءتها -بإشرافي- في رسالتها الجامعية أمل برزنجي، ومثل رسائل الشيخ عبد العزيز التويجري بجزأيها (حتى لا يصيبنا الدوار) و (منازل الأحلام الجميلة) التي تولى قراءتها -بإشرافي- الدكتور أحمد المزاح في رسالة جامعية متميزة نشرت -بمقدمتي- فيما بعد بعنوان (صوت الصحراء: قراءة في مضامين وتقنيات رسائل الشيخ عبد العزيز التويجري إلى ولده.

كما عنيت بدراسة نص بالغ الجودة مما قرأته في أدب الرسالة بعامة والرسالة الأبوية بخاصة هو نص رسائل الأديب الشاعر حمزة شحاتة إلى ابنته (شيرين) في عمل أعددته بدعوة من نادي جدة الثقافي والأدبي في ملتقى النص الذي يلتئم بانتظام كل عام في رحابه. وبذلك أتيح لي أن أتعرف على نماذج من أدب الرسالة اختلفت ظواهره الفنية مثلما اختلفت قضاياه الموضوعية.

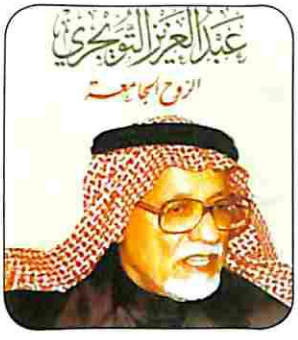

التويجري

أحد أمين

وحين أجريت قلمي بكتابة الرسالة كانت دواعيها متضافرة لدي، وكان في مقدمتها السفر لدراسة تارة، وللتدريس أخرى، وللمحاضرة والمناظرة والبحث العلمي ثالثة، وللسياحة رابعة، ثم كان لسفر أبنائي للدراسة داع آخر لكتابة الرسائل. وكان عطاء ذلك متنوعا أسلوبا وموضوعا، فقد كتبت الرسالة الإخوانية، وكتبت الرسالة الأبوية، وكتبت غير هذه وتلك.

ولدي الآن أربعة مجاميع، أوله بعنوان (رقاع) وهو يحوي نصوص الرسائل المتبادلة بيني وبين الشيخ العلامة أبي أويس محمد الأمين بو خبزة أثناء مجاورتي في مكة المكرمة، وثانيها بعنوان (فيوض) وهو يتضمن رسائلي إلى ابنتي الدكتورة ندى أيام اغترابها في طلب العلم بالأندلس، وثالثها بعنوان (الإسرار والإعلان) وهو يشتمل على رسائل متبادلة بيني وبين أصدقاء أوداء من المغرب والمشرق، ورابعها بعنوان (رسائل من كل الآفاق) ويشمل نصوص رسائل مكثفة سجلت فيها انطباعاتي وأفكاري في تجوالي وتطوافي بالآفاق بمختلف الأقطار، كنت أبعث بها إلى بعض الأصدقاء.

وبعض رسائلي سبق أن نشرت طائفة من نصوصه في مجلات وصحف مثل (المجلة العربية) و (النور) و(الرسالة) وصحيفة (الجزيرة)، وقرئت نماذج منها في مجالس أدبية. أما الموضوع المطروق في هذه الرسائل فتتوزعه عدة انشغالات علمية، وفكرية، وثقافية، ودعوية، ووجدانية، وغيرها مما يعكس همومي وهموم مخاطبي الخاصة والعامة.

● بعد هذه التجربة كيف يقوم الدكتور حسن فن الرسالة من حيث قيمتها الأدبية والموضوعية؟

●● لن أحدثك عن رسائلي، فأمر تقييمها ليس موكولا إليّ، ولكني أقيم الرسالة بعامة بصرف النظر عن المخاطب بها. لا شك في تفاوت حظوظ نصوص الرسالة من حيث قيمتها معنى ومبنى. ومع ذلك فهي – في تصوري – من أجدر النصوص الإبداعية بالقراءة النقدية والثقافية فضلا عما تتيحه من فائدة ومتاع. وهو ما يؤكده ولوجها غير باب من أبواب الفكر والنفس والمجتمع والدين بحرية وجرأة.

باختصار الرسالة عندي، إخوانية، وغير إخوانية، أبوية، وغير أبوية، ووجدانية وغير وجدانية، وفكرية وغير فكرية – كما وصفت رسالة حمزة شحاتة – في قراءتي (بوح نفس، وصوب عقل، وروق فن) ■